آفاق
برلمـــــانية
كـانون أول ٢٠٠٣/ م

لوحة سيريالية - سلڤادور دالي

غزو المصطلح السياسي .....إلى أين؟

مهند عبد الحميد

إن ترويض الثقافة وفرض سياسة الآخر، غالباً ما يبدأ من التحكم بالمصطلح، وتحديداً عبر تسلل المصطلح الدخيل إلى العقول. فإذا كان المصطلح هو دلالة التعبير عن فكرة، فانه قد يكون أداة للتعبير عنها، وبخاصة عندما يتكرر، وتتعود عليه الأسماع. وحسب التجارب صار بمقدور المصطلح أن يغير الفكرة. والأهم، فإن المصطلح في ثقافة العولمة يحاول صياغة وعي عنوانه، تثبيت هزيمة الضعفاء وانتصار الأقوياء بصورة إذعان.

ثمة حشد كبير من مصطلحات العلوم والفنون والسياسة والفلسفة والأدب والثقافة التي لها دلالات استعمالية وتأويلية. والمصطلحات في مجال العلم والمعرفة والثقافة والفنون يمكن التعاطي معها، بل من الضروري مواكبتها وتجميعها في رصيد مصطلحي عبر المجامع اللغوية العربية. وللأسف، وبفعل سطوة التأخر واستمراء الهزائم، ينقص اللغة العربية ٤٠٠ مصطلح عن مختلف العلوم. ومن نافل القول الحديث عن توقف حركة الترجمة لأمهات المذاهب الأدبية والفلسفية والعلوم الإنسانية، وعن غياب النصوص الأساسية لأمهات الفكر الحديث والمعاصر في الأنثروبولوجيا والفلسفة والفينومينولوجيا والبنيوية والتفكيكية وما بعد الحداثة من رصيدنا المصطلحي. ولا تقتصر المشكلة على الاستقبال والانفتاح، بل تشمل الإرسال أيضاً، حيث بلغ عدد المتحدثين باللغة العربية على شبكة الانترنت (٨ ,٠٪) وهو الترتيب الأخير من بين اللغات الأساسية الـ ١٣ منسوباً لعدد السكان الناطقين بالعربية. إن ثقافة كل أمة تكمن في لغتها، وحضور أية لغة على المسرح العالمي يعتمد بشكل أساسي على ثقافة اللغة ومدى مساهمتها في الإضافة والإبداع.

غير أن المشكلة الأخطر التي تستدعي وقفة متأنية وفاحصة، تكمن في تبني مصطلحات سياسية تساهم بشكل وبآخر في عمل مقاربة ذهنية لاستدخال فكر الهزيمة، وتكريس حالة الوهن والاستسلام. وفي هذا الصدد يشكل المصطلح السياسي أداة أساسية في الصراع الفلسطيني والعربي – الإسرائيلي. وقد جاءت المصطلحات الإسرائيلية منذ البداية لتعبر عن إنكار الهوية الوطنية الفلسطينية وإنكار وجود الشعب الفلسطيني، ثم اتجهت المصطلحات الإسرائيلية لاختراق الوعي بهدف فرض الاستسلام على الشعب الفلسطيني، أخذاً بمقولة إن الترويض السياسي وتغيير المواقف والأفكار يبدأ من ضبط المصطلحات وإشاعتها والتحكم بها. ومنذ بداية الصراع وحتى الآن،

التتمة ص١٠